الوحدة النفسية في هاشميات الكميت بن زيد بين التشيع والصراع

محمد أحمد الدردير محمد محمد (*)

يعد العمل الشعري تعبيرًا عن انفعال شعوري يعتمل في نفس الشاعر وهو يمر بتجربة الكون والحياة وقضاياها، بحيث تشكل هذه التجربة معْلمًا مهمًّا وملْمحًا أساسيًّاتدور في فلكه الأبيات ويلقي بظلاله على أحاسيس الشاعر وانفعالاته؛ كي يشد المتلقي إليه ويجعله مشاركًا في التجربة، فمكوِّن المشاعر والعاطفة هو السبيل لجذب القلوب وتوحيد المشاعر وخلق الانسجام، وقد كانت التجربة النفسية عند الكميت نتاجًا لتجربته الحياتية إحساسًا وشعورًا وفكرًا، فجاءت قصائده متدفقة شعوريًّا تحمل تصويرًا وشعورًا موحدًا يصور فيه صادق إحساسه، وقد امتلك الشاعر الأداة الشعورية التي يتمكن بها من إيصال مشاعره تلك؛ فكان يحمل في قلبه رسالة سامية تسامى بها إلى قمم الفضيلة، رسالة أفرزتها عقيدته الراسخة بأهل البيت، فحاول أن يؤدي رسالته في أقسى الظروف وأشدها تعسفًا وظلمًا، فحملت هاشمياته "عاطفة مخلصة تذهب إلى غايتها دون التواء، مصورة ما يتعاورها من شتى الانفعالات، وحبه يسمو إلى مرتبة الصوفية تماذجه عاطفة دينية قوية"(١)، فالشاعر حمل في قلبه حبًّا صادقًا للنبي ﷺ وأهله، فوهب حياته في سبيل الدفاع عن حقهم، وراح يبكي قتلاهم ويندد بأعدائهم ويدافع عن حقوقهم ويتحمل الأذى في سبيلهم، وهو في هذا كله يحمل آلة الشعور التي بها يصور عظيم حبه لآل البيت وشديد ألمه لما آلت إليه الحياة تحت وطأة أعدائهم.

ومع هذا الشعور الجارف جاءت هاشميات الكميت لتكون شاهد صدق على خالص ولاء الكميت لشيعته من آل البيت وصدق عقيدته ورسوخ إيمانه بمذهبه؛ فكانت "نموذجًا لهذا اللون الفريد من الشعر السياسي الذي يتدفق من عاطفة جياشة بحب صادق يشارف أحيانًا ما يشبه الوجد الصوفي"(٢)، فقد تأجج شعره فيهم

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان"الترابط العضوي في هاشميات الكميت بن زيد (٦٠: ١٢٦هـ) "دراسة بلاغية"، إشراف: ا.د. سهام راشد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج& ا.د بهاء محمد محمد عثمان - كلية الآداب – جامعة سوهاج& ا.د. أحمد عبدالوراث مرسي- كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١)الكميت؛حياته وشعره:محمد حسين الحاج،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٧٥،ص ١٠٥.

(٢)في الشعر الإسلامي والأموي: د.عبدالقادر القط، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٧٨.

بالعاطفة التي طالت جميع هاشمياته، فكان صادق الإحساس ملتهب العاطفة متدفق الشعور ناتجًا عن تجربة شعورية صادقة؛ هي تجربة الحب العميق لآل البيت، فكان يدافع عن الحق المسلوب للهاشميين بقلب محب يمدحهم بصفات تتسامى بهم لمرتبة تليق بمكانتهم في قلبه وتحمل معها حملة شعواء على خصومهم ليقوِّض مذهبهم وينال من حكمهم الغاشم، فراح يخاطب المتلقي ليتحدث عن قضيته بعاطفة تحمل الكثير من المضامين التي تهدف جميعها لغاية واحدة هي خدمة البيت الهاشمي والزود عنهم وبيان حقهم المسلوب.

فالهاشميات جاءت لتحمل معها وحدة نفسية مفادها حب آل البيت الذي ملأ شعاب قلب الشاعر وشغله عمن سواهم، فطفق يصور فضائلهم ويتفنن في الزود عنهم منطلقًا من عاطفة قوية، فكانت هاشمياته تعكس إحساسه الصادق ووجدانه الممتلئ بحب شيعته من آل البيت الهاشمي، وقد كانت مشاعره هذه مستمدة من رافدين عظيمين صبغا على أبياته طابع الوحدة النفسية؛ أولهما الحب الصادق الذي ملأ أعماقه للهاشميين فاستولى على فكره وإحساسه، وثانيهما الغضب الذي فاض به على الأمويين، وما بين هذا وذاك جاءت الهاشميات متسمة بطابع نفسي وشعوري يمكن تلخيصه في محورين:

- وحدة التشيع.
- وحدة الصراع.

وسيحاول الباحث بيان الدور الذي لعبه كل محور في تحقيق وحدة الهاشميات النفسية.

أولاً : وحدة التشيع:

يعد الإبداع الأدبي نتاجًا نفسيًّا يُولد من رحم الذوات المبدعة التي تنفعل وتتفاعل مع الحياة وأحوالها بمراحلها المتباينة، والمبدع يسترفد كل هذا ويجعل منه حافزًا للإبداع ومادة له، والشعر بوصفه روح الأدب ورافده هو تجربة نفسية تأملية يتوافق فيها الشعور مع معطيات الحياة وألوانها ضمن وجود نفسي موحد يضمن للقصيدة حضورًا وأبعادًا وجدانية تتسم بالطابع النفسي الذي يشحنها بما يحس به الشاعر في قرارة نفسه ودواخل فؤاده من مشاعر تتلون بالعاطفة وتنطوي على حقائق نفسية هي ملخص تجربته في الحياة، هذه التجربة من شأنها أن تعكس

موقفًا تعرَّض له الشاعر وتأثر به وتفاعل معه نفسيًّا عبر أحاسيسه ومشاعره ورؤيته الفكرية والتي يتم ترجمتها عبر لغة شعرية أنيقة تحمل معها شعورًا صادقًا.

وقد كانت الهاشميات صدى حقيقيًّا لمشاعر الكميت وانعكاسًا لانفعالاته الوجدانية وهزاته النفسية التي عاشها الشاعر، فكان شعره لسان الهاشميين ومرآتهم التي عكست أفكارهم وعقيدتهم، فطفق يوظف شعره فيهم بطابع نفسي يحمل ما توارثه آل البيت من مواريث فكرية واعتقادات دينية، فنرى في هاشمياته بعدًا شعوريًّا سيطر على عاطفته وملك نفسه، فسيطرت على عقله فكرة الدفاع عن بني هاشم والزود عنهم وبيان أحقيتهم في الخلافة، وأصبح هذا المعنى رافدًا أساسيًّا يسكن هاجس النص الهاشمي محاولاً به أن يسلب لب المتلقي ويأسر مشاعره.

كما كان شعر المدح لآل البيت عند الكميت في هاشمياته شعرًا عاطفيًّا تغذيه عاطفة دينية كثرت فيها ألفاظ الهيام والهوى مع ألفاظ الدفاع التي تعرض سجل الفضائل التي يتحلى بها الهاشميون مع بيان نسبهم المتصل بالنبي ﷺ، وهدفه من ذلك تأييد حقهم بالخلافة، فكان شعره فيهم يصدر عن اقتناع صادق وعقيدة راسخة وحب مكين لهم مع إخلاص تام لمذهبهم وعقائدهم؛ حتى أصبحت هاشمياته"مقالة دقيقة تعبر عن أفكار الشيعة، وترسم اتجاهاتها، وتنفعل فيها أحاسيسها"[1]،فعرض فيها الكميت أفكاره وأحاسيسه بكل ما حواه قلبه من حرارة وعقله من تفكير فكانت الهاشميات نتاج عقل وقلب معًا، وأصبح هذا الشعور بؤرة تتماوج في جسد الهاشميات يعبر فيها الشاعر عن فكر وحب أقفل عليه المنافذ واستحال إلى عقيدة سامية يدافع عنها بفكره ووجدانه.

فالكميت يعلم جيدًا حاجة آل البيت إلى من يقف إلى جانب حقهم المسلوب ويُبصر الناس به ويستعطف قلوبهم ويجذبها نحوهم، فكان سلاح الشعر الفتاك الذي استعمله الكميت ليأسر به الأفئدة ويُسمع به الآذان عن حق سليب يعجز أصحابه عن استرداده وهم يملكون الإرث العظيم بانتسابهم لبيت النبوة، كما أنهم ذوو عقيدة راسخة لا تتزحزح، فراح يؤيدهم ويبصر الناس بأحقيتهم ويدعو لعقيدتهم ويحببها للقلوب، فكانت هاشمياته "تعبيرًا عن العقيدة الشيعية في صورتها العامة، ممثلة في

(1)الكميت؛ حياته وشعره: د.محمد حاج حسين، مرجع سابق، ص ١٣٦.

شعارها الأساسي وعقيدتها الأصلية في حق آل البيت"[1]، وراح يتغنى بفضائل الهاشميين ويدافع عن سياستهم ويبين تراثهم وعقيدتهم في زحمة من العواطف المتداخلة مؤيدًا نظرتهم القائمة على أن الخلافة هي حق مكتسب وأنهم الوريث الشرعي اعتدادًا بمبدأ القرابة من الرسول ﷺ، وإيمانًا منه بهذا المبدأ لم يتوانَ الكميت في الدفاع عن ذلك المعتقد القائم على حصر الخلافة في البيت الهاشمي وحده دون سواه استنادًا إلى مبدأ التوريث.

يتجلى اعتزاز الكميت وافتخاره بجدود بني هاشم وتراثهم ومدى انعكاس ذلك على حالته الشعورية في قوله: (من الخفيف)

وَاضِحِي أَوجُهٍ كَرِيمِي جُدُودٍ وَاسِطِي نِسبَةٍ لِهَام فَهَامِ

للذُّرَى فالذُّرَى من الحَسَبِ الثَّا قِبِ بَينَ القَمقَامِ فالقَمقَامِ[2]

جاء الحديث هنا عن بني هاشم مختلطًا بمشاعر الزهو والاعتزاز من شاعر امتلأ قلبه حبًا لشيعته، فهو يفاخر بهم وبأصلهم، فجاء الوصف محملاً بدلالات نفسية يحاول الشاعر من خلالها أن يثبت معتقده، وجاء شعوره متناسقًا مع ما يرمي إليه، فهو يراهم أصحاب أصل ونبت طيب، يكسو وجوههم علامات يُعرفون بها هي علامات الكرم؛ لأنهم (كريمو جدود)، كما أنهم واسطة العقد في نسب هو الأعلى والأطهر وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله: (هام فهام) تعبيرًا عن أصلهم الطيب العالي، فالكميت يكرر المعنى ويكثفه حتى يصل كاملاً للمتلقي ممزوجًا بإحساس شاعر له فلسفته وموقفه الواضح تجاه أحبته من آل البيت الذين يراهم وصلوا إلى ذروة الشرف بنسبهم الشريف وحسبهم الثاقب المضئ، فهم يتوارثون الشرف الرفيع (قمقام فقمقام)، فالشاعر هنا يحاول التسامي بمشاعره وتحويلها للمتلقي كي تصل إليه محملة بتلك الدلالات المفعمة بالحب والاعتزاز بنسب رفيع، ولا شك أن لتلك الحالة أثرها على الكميت الذي جاء تعبيره عنها ليكشف عن معتقد هؤلاء الذين ملكوا قلبه، فجاءت تعبيراته متماثلة متكررة لتكوِّن وحدة نفسية تعبر عن مخبآت نفسه الهائمة بأحبتها من آل البيت.

([1])اتجاهات الشعر في العصر الأموي: د.صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٦،ص ٩٤.

([2])شرح الهاشميات: أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق : د.داود سلوم، د.نوريحمودي القيسي، عالم الكتب للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص ١٥ : ١٦.القمقام:السيد الشريف.

ويقول الكميت أيضًا في ذلك: (من الخفيف)

فَهُمُ الأَقرَبُونَ مِن كُلِّ خَيْرٍ ... وَهُمُ الأَبعَدُونَ مِن كُلِّ ذَامِ

وَهُمُ الأَرأَفُونَ بالنَّاسِ في الرَّأ ... فَةِوالأَحلَمُونَ في الأَحلاَمِ

بَسَطُوا أَيدِيَ النَّوَالِ وكَفُّوا ... أيدِيَ البَغيِ عَنهُمُ والعُرَامِ

أَخَذُوا القَصدَ واستَقَامُوا عَلِيهِ ... حِينَ مَالتْ زَوامِلُ الآثَامِ

عِيَرَاتُ الفَعَالِ والحَسَبِ العَو ... دِ إليهم مَحطُوطَةُ الأَعكَامِ

أُسرَةُ الصَّادِقِ الحَديثِ أبي القَا ... سِمِ فَرْعِ القُدَامِسِ القُدَّامِ

خَيْرِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِنْ بَنِي آ ... دَمَ طُرًّا مَأمُومِهم والإِمامِ[1]

يصف الشاعر في الأبيات مآثر الهاشميين حيث تخالطه مشاعر الفخر التي حضرت في ألفاظه ومعانيه؛ ليكشف من خلالها عن حديث امتزجت فيه الأحاسيس وتشابكت كاشفة عن شعور لا يبارحه متعلقًا بخصال آل البيت، فجاءت الأفكار معبرة عن خبايا النفس في وحدة ترابطية يحكمها شعور الاعتزاز بمعتقد تداعت إليه المعاني وتدفقت حوله العواطف، فالصورة النفسية التي وصفها الشاعر تعبر عن عميق شعوره وإحساسه الشجي القائم على اقتناع ذاتي وإخلاص لشيعته الذين يراهم الأقرب لكل خير وأبعد الناس عن العيب، ودِيْدنهم هو الرأفة بالغير والشعور بمعاناة الناس، كما أنهم أكثر الناس حلمًا وصبرًا، ودائما ما يبسطون أيديهم بالعطاء، وهم بعيدون كل البعد عن الجهل وما يسيئهم، كما أنهم اختاروا التوسط في الأمور فاستقامت أمورهم وبعدت عنهم مساوئها، فهم أولو الخير وأصحابه ينقلونه أينما حلوا، فالكميت هنا يسترسل في وصف الخصال التي تدل جميعها على شعور جارف تجاههم محاولاً جذب المتلقي وكسب استعطافه لصالح شيعته، ولتعزيز الدلالة النفسية جاء الشاعر بصيغة أفعل التفضيل لإثبات مكانتهم العلية فهم (الأقربون – الأبعدون–الأرأفون–الأحلمون)مستخدمًا معها صيغة الجمع ليدلل على مكانتهم السامقة وأنهم يفضلون غيرهم في جل الأمور، وهذا الفضل راجع لنسبهم فهم

([1])المرجع السابق: ص ٢٥: ٢٦. ذام:عيب،النوال:العطاء،العرام:الجهل، القصد:الاعتدال ،الزوامل:الإبل التي تحمل عليها الحمولة، عيرات: جمع عير وهو الجمل، العود:الجمل المسن،القدام:المتقدم، فرع القدامس:الشرف،القدام:القديم.

أصحاب الحسب الموغل في القدم الذي تشد إليه الرحال، ولا عجب في ذلك فهم (أسرة الصادق الحديث أبي القاسم) خير من خلق الله من ولد آدم قاطبة، وخير من احتضنت الأرض، فهذه المعاني الإسلامية "تتلاءم مع الجو الذي أراده الكميت محملاً بنبضات قلبه"[1]، ليثبت أن حق هذه الأسرة في الخلافة راجع إلى وراثة النبي ﷺوقرابته، فالشاعر هنا يصل إلى ذروة التشكيل النفسي مزهوًّا ومفتخرًا بالأصل السامق ليبلور من خلال ذلك عن رؤيته واتجاهه النفسي لمحاولة إثبات موقف ثابت لا يتغير يعكس معتقد شيعته، فهم أصحاب الخلال الحميدة وأصحاب النسب وأصحاب الحق المغتصب، وقد توزعت هذه المشاعر لخلق عملية شحن معنوي يتصاعد من خلالها الخط النفسي حين يصل إلى الاعتزاز والافتخار بمناقب هؤلاء ونسبهم العالي، والوحدة الشعورية استمدت طاقتها هنا من قوة التحام الجزئيات في محور انفعالي واحد متصاعد ليصل إلى هدف أسمى هو رؤية الشاعر وهدفه النفسي والفني.

ونرى جوانب من رؤية الشاعر النفسية حول تشيعه في قوله: (من الخفيف)

أُنـاس بِهِم عَـزَّتْ قُـرَيشٌ فأصبَحُوا وفـيهِم خِبَـاءُ المَكرُمَـاتِ المُطَنَّـبُ

مُصَـفَّون فـي الأحسَـابِ مَحْضُـونَ هُمُ المَحضُ مِنَّـا والصَّرِيحُ المهـذَّبُ

خِضَـمُّونَ أشـرَافٌ لَهَـاميمُ سَـادَةٌ مَطَاعِيمُ أيسَارٌ إذَا النَّاسُ أَجدَبُوا[2]

حملت الأبيات السابقة إحساسًا مكثفًا يشمل كلمات مشحونة بالعزة والفخر ودفقات شعورية تعكس ديمومة الفكرة واستمراريتها، فالشاعر يعيش حالة من الاعتزاز بشيعته أظهرها في أبياته التي جاءت لتوضح عاطفته وما يلازمها من حالة شعورية يريد إيصالها للمتلقي ليستهويه ويثير وجدانه؛ فيتحول الإحساس إلى موقف تأييد ونصر للهاشميين، وفي الأبيات أظهر الكميت مكانة آل البيت فهم مصدر العزة لقريش وأصبحوا بمثابة الأطناب والحبال التي تقوم عليها خيم العز وهي دلالة نفسية واضحة لمدى ما وصلوا إليه من مكانة كبيرة وسط القبائل؛ وذلك راجع لحسبهم الخالص المصفى، فهم سادة أشراف يجودون في كل الأوقات، فتجدهم

([1])الكميت؛ حياته وشعره: د.محمد حاج حسين، مرجع سابق، ص ١٣١.

([2]) شرح الهاشميات: ص ٧٦. المطنب:الممدود بالطنب وهو حبل الخيمة، المحض:الخالص، خضمون:سادة، لهاميم:سادة والواحد لُهْموم، أيسار:كرام.

الكرام وقت الجدب والعسرة، ولتأكيد الدلالة والمعنى الذي يرمي إليه نجده يعدد من استخدام الصفات (مصفون،خضمون) (لهاميم،مطاعيم) لتثبيت المعنى للمتلقي والتأكيد على مدى أحقية الهاشميين باستحواذ فكره ووجدانه لما يتوفر فيهم من خصال حميدة، فهذه المعاني جميعها تشير إلى هيمنة إحساس واحد ورؤية نفسية مشكلة في بنية فنية ثرية لتخلق أثرًا شعوريًّا موحدًا يتناسب مع غرض الشاعر ومعتقده.

ويمكن معرفة جوانب معتقد الكميت ورؤيته النفسية بمطالعة تلك الأبيات: (من المنسرح)

قَــوْمٌ إذا امْلَــوْلَحَ الرِّجــالُ علــى ... أَفْــواهِ مــن ذاقَ طَعْمَهُــم عَــذُبوا

إنْ نَزَلــــوا فـــالغُيُوثُ بـــاكِرَةٌ ... والأُسْــدُ أُسْــدُ العَــرينِ إنْ رَكِبــوا

لا هُــمْ مَفــاريحُ عِنْــدَ نَــوْبَتِهم ... ولا مَجــازيعُ إنْ هُــمُ نُكِبــوا

هَيْنُــونَ لَيْنــونَ فــي بيــوتِهِم ... سِــنْخُ التُّقــى والفضــائِلُ الرُّتُــبُ

والطَّيِّبــونَ المُبَــرَّؤونَ مــن الــ ... آفَــةِ والمُنْجِبــونَ والنُّجُــبُ

والسَّــالمونَ المُطَهَّــرونَ مِــنْ العَــ ... ــيبِ ورَأْسُ الــرؤوسِ لا الــذَّنَبُ

زُهْــرٌ أصِــحَّاءُ لا حَــدِيثُهم ... واهٍ ولا فــي قَــدِيمِهم عَطَــبُ

والعَــارِفو الحَــقَّ للمُــدّلِ بــه ... والمُســتَقِلّو كثيــرِ مــا وَهَبُــوا

والمُحرِزو السَّبقَ في مَوَاطِنَ لانجـ ... ــعَلُ غايــاتِ أهلِهــا القَصَــبُ

والكَاشِــفُوالمُفظِعِ المُهِــمِّ إذا الــ ... ــتَفَّ بِتَصــدِيرِ أهلِهَــا الحَقَــبُ[1]

يجسد الكميت في النص فضائل شيعته بطابع مؤثر يخطف الألباب ويجذب النفوس، فيستقصي مناقبهم ليعطي أروع الصور لآل هاشم في أبيات محملة بطاقات شعورية كبيرة مستخدمًا العامل النفسي ليكون حلقة ربط بين الأجزاء، فقد كان صوغ الفكرة في عدد ممتد من الأبيات يحمل العديد من الإيحاءات والشعور المنسجم ليشكل

(1)المرجع السابق: ص ١٢٠ : ١٢٢.مجازيع:من الجزع وهو الحزن والخوف،نكبوا:أصيبوا بنكبة، المفظع:العظيم.

من خلالها نصًّا متلاحمًا نابعًا من وحدة شعورية تحمل الجانب العقائدي لأُناس حمل الشاعر رفع رايتهم على عاتقه فكانت أبياته بمثابة "الأغنية الجميلة التي سكبها الكميت في أذن الدهر ليشدوا بالمُثل العليا للشيعة مجسمًا في هؤلاء الهاشميين"[1] الذين يمثلون الصورة الندية فلا تجد منهم إلا الكلام الطيب فكأنهم مورد يستقي منه الناس كل عذب إذا ما (املولح كلام الناس)، ويستمر الشاعر في سرد أفكار الشيعة متمثلة في آل هاشم مظهرًا فضائل لهم تعبر عن عقيدتهم؛ فهو يرى أن الخير يلاحقهم أينما نزلوا أو حلوا، وأنهم أسود عندما تشعل الحرب نارها، ومن عقيدتهم أنهم لا يفرحون عندما تهب عليهم رياح الرخاء ولا يجزعون عندما تعصف بهم النكبات، والشاعر هنا يستلهم كلامه من قول المولى: (لكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم)[2]، ليؤكد مقصده ويدعم فكرته فتذهب للمتلقي طواعية، ويستمر في ذكر شمائلهم التي تعكس عقيدتهم من خلال استخدامه لأسلوب العطف (والطيبون – والسالمون –والعارفو الحق- والمحرزو السبق- والكاشفو المفظع) للعمل على تكثيف المعنى وتغطيته لمعظم مساحات النص الشعري، ويكشف عن الدلالات التعبيرية والنفسية التي يريد أن يثبتها، فيرى أن اللين في غير قسوة هو طبعهم والتقى هو أخلاقهم، فهم أهل الطهر والعفاف الذين يبرؤون من كل أثم، وبهم من الطيبة ما يقصي كل عيب؛ لأنهم كرام الناس يسيرون بينهم بما طبعوا عليه من فضائل جعلتهم يعرفون الحق فيتبعونه فيسيرون على هديه، وهم قد أحرزوا التقدم في مواطن الحق والتقى فكان لهم قصب السبق في ميادين الرفعة والشرف، فالكميت هنا ذكر الفضائل ليلصقها بهم في جو شعوري يكسوه الوحدة والاتساق، ورأيناه يعدد من الصفات مستخدمًا صيغ مختلفة ومعانٍ عديدة جميعها يشير إلى مجمل الفضائل التي يراها الشيعة في أئمتهم كما أنها مستقاة من روح الدين ليرتفع بالهاشميين فوق كل دنية، وقد تجلت رؤيته من خلال جو شعوري يعكس رغبة الشاعر في إثبات تلك الخصال حاملة معها مشاعر تضافرت فيها الألفاظ والمعاني لتخلق لحظة مخاض هذا الشعور الصادق الذي يستلهم فيه حبه للهاشميين من خلال عاطفة تنساب بهدوء وترسم لوحة شعورية اتصلت أجزاؤها وعكست إحساسًا موحدًا زاده إيحاء ومتانة صدق الشاعر في سعيه لمناصرة شيعته.

ويتمثل أيضًا شعور الكميت تجاه آل البيت في قوله: (من الطويل)

---

(1)الكميت؛ حياته وشعره: د.محمد حاج حسين، مرجع سابق، ص ١٣٧.
(2)سورة الحديد: الآية ٢٣.

لَهُم من هَوَاي الصَّفْوُ ما عِشتُ خالصًا ... ومـــن شِـــعرِيَ المَخـــزُونُ والمُتَنَخَّـــلُ

فَـــلا رَغبَتِـــي فـــيهم تَغِـيضُ لأهْبَـــةٍ ... ولا عُقـــدَتِي فـــي حُـــبِّهِم تَتَحَلَّـــلُ

ولا أنـــا عَـــنهُم مُحـــدِثٌ أجنَبِيَّـــةً ... وَلاَ أنَـــا مُعتَـــاضٌ بِهِـــم مُتَبَـــدِّلُ

وإنّـــي علـــى حُبِـــيّهِمُ وَتَطَلُّعِـــي ... إلى نَصرِهم أمشِي الضَراء وأخْتَلُ

تَجُـودُ لَهُـم نَفسِـي بِمَـا دَونَ وَثْبَـةٍ ... تَظَـلُّ لَهَـا الغِربَـانُ حَـولِيَ تَحْجُـلُ

ولكنَّنَـــي مـــن عِلّـــةٍ بِرِضَـــاهُمُ ... مُقَـامِيَ حتـى الآنَ بِـالنَّفسِ أبخَـلُ[1]

يتجلى إحساس الكميت واضحًا تجاه شيعته من آل البيت في هذه الأبيات التي عكست مستوى عاليًا من الشعورى الذي مثل محورًا أساسيًّا في المقاربة النفسية لصورة آل البيت في هاشمياته ضمن الإطار العام للوحدة النفسية، فالأبيات تعد مدخلاً شعوريًّا راقيًا لشاعر سخر حياته للدفاع عن قضيته ومدافعًا عن أحبته متخذهم غذاء لروحه مترسمًا خطاهم، فمادامت الحياة تدب في جسده فحبه مستمر لهم، وشعره ماضٍ في مناصرتهم، وعقيدته فيهم قائمة لن تضطرب أو تتزحزح مهما كابد من صعاب، فهو يمشي بين الناس مفتخرًا بفضلهم مجاهرًا بحبهم، فمن أين له أن يُستعاض بغيرهم وهم أهل المروءة والخير؟، فالشاعر هنا يردد مشاعر الحب بحرارة صادرة عن إيمان عميق وعاطفة مخلصة تذهب لغايتها ومصورة ما يكنه لهم من حب يسمو للمراتب العالية؛ حتى أنه ليجود بنفسه في سبيلهم بما يملكه، ولتعزيز المعنى وتأديته على أفضل وجه يستدعي الكميت ضمائر المتكلم (هواي- شعري – رغبتي- عقدتي – أنا- إني – نفسي – حولي –مقامي) جميعها يؤكد ذاتية التجربة وانخراط نفس الشاعر وامتزاج أحاسيسه بقضيته، فهو يصور مشاعره وما يكنه لآل البيت من حب ملك عليه أحاسيسه، وقد تعاضدت العناصر في بنية نفسية لتحقق ارتباطًا قويًّا بين الأداء الفني وانفعالات الشاعر ومشاعره، فتجربة الحب لآل البيت كانت تفيض صدقًا مما جعله يطل علينا بمشاعر فياضة محققًا معها وحدة نفسية متناغمة مع الانفعال النفسي.

ومن الأمثلة التي تعكس شغفه النفسي لآل البيت قوله: (من المتقارب)

(1) شرح الهاشميات: ص ١٧٨ : ١٨٠.المتنخل:المختار،تغيض:تنقص، يمشي الضراء:مستخفيًا.

بَنِـــي هِاشِـــمٍ فَهُـــمُ الأكْرَمـــونَ ... بنـــي البـــاذِخِ الأفْضَـــلِ الأَطْيَـــبِ

وإيَّـــــاهُمُ فاتَّخِـــــذْ أَوْليـــــا ... ء مـــن دونِ ذي النَّسَـــبِ الأَقْـــرَبِ

وفـــي حُـــبِّهِم فـــاتَّهِمْ عـــاذِلا ... نهـــاكَ وفـــي حَـــبْلِهم فاحْطِـــبِ

أَرَى لَهُـــمُ الفَضْـــلَ والسَّـــابِقاتِ ... ولَـــمْ أتَمَـــنَّ ولـــمْ أحسَـــبِ

مَسَـامِيحُ بِـيضٌ كِـرَامُ الجُـدُودِ ... مَـرَاجِيحُ فـي الـرَّهَجِ الأَصـهَبِ[1]

يظهر الجانب الشعوري جليًّا في الأبيات التي حملت معها مستويات نفسية تعكس حبًّا كبيرًا من الشاعر لأحبته، وقد كان هذا الحب بمثابة الخيط النفسي المتصل الذي انتظمت فيه الأبيات، فالبنية النفسية للنص اتكأت على مشاعر الفخر والاعتزاز لهؤلاء الهاشميين الذين سكب عليهم الشاعر من روعة التعبير ما جعلهم يذهبون لآفاق بعيدة من الرفعة والورع والتقوى، وقد ألبسهم الكميت من جميل الفضائل ما يسمو بطبائعهم فكانوا يتحلون بالزهد والشجاعة والكرم، وقد استدعى الكميت أسلوب التفضيل (الأفضل – الأطيب – الأقرب) لغاية نفسية يقصد بها إقناع المستمع بوصول بني هاشم لقمة الفضائل، وهي الصورة ذاتها التي يريد الكميت أن يرسخها في الأذهان ليصل إلى هدفه المرجو عبر جو نفسي يناسب مطلبه، فالشاعر هنا حريص على إقناع الغير بالتعلق بهم، وإن أحد دعا إلى غير ذلك فهو مجرد (عاذل) لا يرى فضائلهم ولا فضلهم العظيم، فهم أصحاب الشرف العالي والمجد الرفيع ولهم من عظيم الفضل ما لا ينكره أحد، فهم أهل الكرم والشجاعة لا يهابون عدوًا؛ لأنهم أولو رزانة وثبات في مواطن القتال، فالشاعر كان قادرًا هنا على إخراج مكنونات فؤاده إلى المتلقي بصورة نفسية معبرة عن مشاعره تجاه آل البيت فجاءت أبياته متسقة في اتجاهها الواحد وعاطفتها المركزية، وكان ما فيهامن معانٍ وأفكار يؤدي إلى وظيفة وهدف من خلال شعور موحد لتصل إلى إحداث أثر نفسي لدى المتلقي يجعله يستجيب لنداءات الشاعر.

فالتشيع لآل البيت كان دافعًا حثيثًا دفع الكميت لتشكيل هاشمياته تشكيلاً نفسيًّا في إطار من المشاعر الجياشة التي لم تنفصل عن معتقد الشيعة ورؤيتهم، فالدفاع

([1])المرجع السابق: ص ١٨٩.الباذخ العالي:الشرف العالي والمجد الرفيع، مساميح:أولوسماحة، الرهج:الغبار، الأصهل:المائل إلى الغبرة.

عن آل البيت وبيان خلائقهم مثَّل اتجاهًا نفسيًّا تعالقت معه المقاصد النفسية للشاعر وظل يردد تلك المعاني والأفكار لينظمها في خيط انفعالي متضمنًا إحساسًا واحدًا نابعًا من اتحاد النظائر النفسية التي تم استمدادها من أفكار الهاشميين وكانت تتمركز على بيان خصالهم ونسبهم الأصيل وشمائلهم، وهو ما جعل الحالة النفسية للشاعر مسايرة للفكرة ومؤيدة لها.

ثانيًا : وحدة الصراع:

يعد العمل الأدبي مرآة الذات يصور مشاعرها وانفعالاتها ويظهر عواطفها وصراعاتها، ويعكس ملامح أزمتها مع المجتمع في تجلياتها المختلفة في شكل صراع تتنوع مستوياته، والشعر لا ينفصل عن هذه الحالة فهو يصدر نتيجة لضروب متنوعة من الصراع ويكون قادرًا على التأليف بين المتباعدات والمتناقضات؛ لأنه نابع "من حركات النفس، ومصبُّه النفوس الإنسانية في مدى تقبلها أو إعراضها بحسب الفطرة"[١]، فيبدو النص حينها جامعًا لعديد من أشكال الصراع، وتصبح هذه الصراعات عنصرًا محركًا لباقي العناصر الأخرى المتحركة على سطحه؛ حيث تستطيع مشاهد الصراع النفسي التي تفيض بها تجربة الشاعر أن تضم مجموعة من العناصر كفيلة أن تشكل بنية القصيدة وذلك بالتماس رابطًا نفسيًّا بنائيًّا يكفل للقصيدة شيئًا من الوحدة تتكامل معه عناصرها في خيوط متشابهة ودلالات متشابكة تجسد الصراع النفسي الذي يموج في أعماق الشعراء والذي يعد من "أبرز المقومات اللازمة للدخول إلى عوالمهم الفكرية والنفسية"[٢]، فمظاهر الصراع في شعرهم قادرة على إبراز ما ينطوي تحت معانيهم من مشاعر المعاناة والقلق والاضطراب النفسي، وهو ما يؤجج شاعريتهم فيعبروا عنها خير تعبير.

وتُظهر القراءة النفسية للهاشميات تجليات فكرية ونفسية تمثل نموذجًا للصراع بمختلف تداعياته، فهناك لدى الكميت إشارات عديدة ومشاعر متكررة تدل على القلق والتأزم والتمرد الانفعالي على سلطة غاشمة، هذه الإشارات حملت دالاً نفسيًّا مكثفًا في صورة نسقية متعمقة تدل على صراع متعدد الرؤى له آثاره النفسية على الشاعر وأفكاره، وهو ما انعكس على نتاجه الفني، فشعره في آل البيت يتلامس مع

---

(١)تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د.إحسان عباس؛ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: د.إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، بيروت، ط٤ ، ١٩٨٣، ص٥٥٣.

(٢)مفهوم الصراع في الشعر العربي؛ شعر الخوارج أنموذجًا: د.سعد صابر نمال، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العراق، العدد ١٨، صيف ٢٠١٥، ص١٨٦.

ما يلحظه الراصد لنصوصه الشعرية من أبعاد نفسية بها من تشظيات الألم وصراعات النفس ما يصبغ عليها تشكيلاً نسقيًّا قائمًأ يصور صراعًا دائمًا في بنية القصيدة وما تضمنته هذه البنية من عناصر متصارعة متضادة يحكمها منطق بنائي ونفسي يكفل للقصيدة وحدتها النفسية.

والصراع عند الكميت يعبر عن مجموعة من المواقف والأحداث التي مر بها الشاعر وتم اختزانها داخل نفسه لتتشكل في الجانب النفسي لديه، ثم تخرج في لحظات شعورية وفق متطلبات الموقف النفسي ومقتضيات النفس وظروفها،فنرى الصراع يتمخض عنده في عدد من مشاعر التأزم والظلم التي تحمل معاني الثورة والغضب، أو مشاعر التحدي والمثابرة التي تحمل معاني الحب والجَلَد، فهذه المشاعر تتداعى في ذهن الشاعر لتتفاعل في خلق حالة من الشعور النفسي يطفو على ظاهر النص،وهو ما يشكل أنساقًا تعتمد على بعضها البعض في علاقاتها وفي تتابعها النفسي؛ مما يفتح السبل أمام المتلقي للتفاعل وسبر أغوار الأبيات والتعايش معها.

وانطلاقًا من هذه التصور وبالنظر التداعيات النفسية التي شكلت موقف الصراع لدى الكميت سيتناول الباحث تمثلات الصراع للقصيدة الهاشمية مع استكناه الأنساق التي انطوى عليها الصراع وفقًا للمعطيات التالية:

– صراع الذات: ويتمثل في الصراع النفسي العنيف الذي حفل به عالمه الداخلي، ولم تكن ذاته في هذا الوقت بعيدة عن جو المحنة الداخلية؛ بل كانت مندمجة في أزمتها ومتفاعلة مع سعيرها وهو ما أدى إلى تأجج المشاعر نتيجة لحالة التمزق النفسي في مواجهة العالم الخارجي الخاضع لحكم الأمويين وغير الآبه للظلم المحيط بهم، ولا ناظرًا لهؤلاء الذين يتعرضون لأسوأ أنواع العقاب كي يرفعوا ما وقع على الرعية من جور، فالكميت حاول خلق المعادلة بين ذاته والوجود الخارجي في إطار من الصراع الداخلي الذي يتشكل في شعوره بالتمزق نتيجة لمأسوية الموقف.

ومن مواقف المواجهة الداخلية بين الشاعر والعالم الخارجي التي نتج عنها صراع مزدوج بين الذات من جهة وبين الخصوم من جهة أخرى قوله: (من الطويل)

أُرِيــبُ رِجَــالاً مــنهم وتُرِيبُنــي خَلاَئــقُ مِمَّــا أَحــدَثُوا هُــنَّ أَرَيــبُ

إلَـــيكُم ذَوِي آلِ النَّبِـــيّ تَطَلَّعَـــتْ نَـوَازِعُ مـن قَلبِـي ظِمـاءٌ وألبَـبُ
فـإنِّي عَـن الأمـر الـذي تكرَهُونَـهُ بِقَـولي وَفِعلِي مـا استَطَعتُ لأجْنَـبُ
يُشِـيرُونَ بالأيـدِي إلـيَّ وَقَـولُهُم أَلاَ خَـابَ هَـذَا والمُشِـيرُونَ أخيَـبُ
فَطَائِفَـةٌ قـد أكـفَـرَتنِي بِحُـبِّكُم وَطَائِفَـةٌ قَـالُوا مُسِـيءٌ وَمُـذنِبُ
فمـا سَـاءَنِي تَكفِيـرُ هَاتِيـكَ مِـنهُمُ ولا عَيـبُ هاتِيـكَ التـي هِـيَ أعيَـبُ
يُعيبُـونَنِي مـن خُبْـثِهِم وَضَـلاَلِهِم على حُبِّكُم بَل يَسخُرون وأعجَبُ[1]

أتت الأبيات محملة بإشارات نفسية تحيل إلى الصراع النفسي الكائن في نفس الشاعر بدأها الشاعر بكلمة (أريب) للدلالة على حالة من القلق والتأزم النفسي تحيط به، وجاء تكرارها لإشعال الذات وبيان ما ألمَّ بها من اضطراب، فالكميت في مجابهة عنيفة مع معترضيه الذين ينكرون عليه دفاعه عن آل البيت، وقد كانت هذه البداية هي الشرارة التي أشعلت بداخله لهيب الصراع الذاتي، فهو لا يسلم من النقد نتيجة لمناصرته لأحبته من الهاشميين، وهو ما جعله يسرع ببيان فضائلهم وسر دفاعه عنهم لمحاولة مجابهة المغرضين فيذكر خصائل آل البيت التي جعلته في صفهم ضد كل ظالم مغتصب للسلطة؛ فيطفق في وصف شعوره تجاه آل البيت كاسرًا حدة الصراع الداخلي بما يتناسب مع ذكرهم فيذكر أن نفسه طواقة لهم، والقلب ظمآن للارتواء بحبهم، وعقله مشغول بفضائلهم، والشاعر هنا جمع بين القلب والعقل ليؤكد أن الهاشميين قد حاذوا على نفسه وتملكوها، وهو ما جعله لسان حق يدافع عنهم، ويأتمر بأمرهم قولاً وفعلاً، ثم نرى وتيرة الصراع النفسي تشتد مرة أخرى بعدما تذكر هؤلاء المناصرين للأمويين وهجومهم عليه، فيوجه حديثًا مباشرة لهم يتضمن مشاعر التحدي ويرتكز على شعور قوي بداخل الذات المشتعلة فيذكر أنهم باتوا يعرفونه رمزًا لآل البيت مدافعًا ومناوئًا، وأن إشارتهم له ومحاولة خضوعه ما هي إلا (خيبة) منهم، وهنا تتخذ المقاومة النفسية شكلاً ورؤية وجدانية عميقة وتتعانق مع روحه المحبة لآل البيت، وهو هنا يؤكد عزمه على الاستمرار في هذا الحب مهما كلفه ذلك من عناء، ثم يستمر الكميت في عرضه النفسي موضحًا موقف الخُصَّام تجاهه ما بين قسم قد قام بتكفيره وآخر اتهمه بالذنب، جراء(حبه لآل البيت

(1) شرح الهاشميات: ص ٥١ : ٥٣.

والدفاع عن حقهم)، فما كان من الكميت إلا استخدام سوط الحق ليدافع عن نفسه وعن شيعته في لون من الصراع المتأجج يحمل في ثناياه مشاعر كثيرة من الحب أحيانًا والقلق أحيانًا أخرى خوفًا من بطش الأمويين، ولكن مشاعر الحب تعانقت مع روحه وبدأت تتغلب على بؤرة التوتر والقلق وشكلت ردًّا لأعدائه مفاده أن هجومهم لن يسيئه، وأنه ماضٍ في حبه غير ناظر لخبث الأعداء وضلالهم، فالشاعر يقف هنا وقفة المستميت أمام عاصفة نفسية قوية محملة بمشاعر القلق، وقد حاول الشاعر مجابهتها بثبات وقوة يقين وهو يواجه هذا العالم الخارجي، فالكميت هنا جمع بين العناصر النفسية الخاصة بصراعه النفسي في إطار شعوري متآلف ومتحد رغم كون الصراع أتى من تداعيات متكررة داخلية وخارجية؛ لتمثل رافدًا سكن نصه الشعري وطبع عليها وحدة نفسية هي وحدة الصراع؛ فجاءت المعاني خادمة للمعنى معبرة عن أحاسيس الشاعر وكاشفه عن صراعه الداخلي.

ومن المشاهد التي ظهر فيها قلقه الشديد وصراعه النفسي جراء الهجوم عليه من قبل أعدائه لوقوفه في صف الهاشميين قوله: (من الطويل)

فَمِن أينَ أو أنَّى وكَيفَ ضَلالُهم ... هُدىً والهوَى شَتَّى بِهِم مُتَشَعِّبُ؟

فَيَا مُوقِدًا نَارًا لغَيرِكَ ضَوءُها ... وَيَا حَاطِبًا في غيرِ حَبلِكَ تَحطِبُ

ألَم تَرَنِي من حُبِّ آلِ محمدٍ ... أروحُ وأَغْدُو خَائِفًا أتَرقَّبُ؟

كأنّي جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما ... بِهِم يُتَّقَى من خَشيَةِ العُرّ أجرَبُ

عَلَى أيّ جُرمٍ أَم بأيَّةِ سِيرَةٍ ... أُعَنَّفُ في تَقرِيظِهِم وَأُؤَنَّبُ؟[1]

يستمر الشاعر في التعبير عن تأزمه النفسي الذي يتحرك على مستوى الذات في الأبيات موضحًا مواقف الصراع بينه وبين أعدائه وكيف أنهم يتربصون به الدوائر ويحاولون التربص به للعزوف عن مناصرة آل البيت؛ ولكن الشاعر أبى أن يُظهر مشاعر الركود والاستسلام ماضيًا في طريق الحق الذي اختاره لنفسه، ونراه يتساءل: إلى متى سيظل هؤلاء يعترضون الحق والهدى؟، وهل من وسيلة لإبعاد هؤلاء عن ضلالتهم؟، فالسؤال هنا امتزج فيه الإحساس المصبوغ بالعاطفة مع إحساس آخر يغلفه الصراع بين واقع مؤلم وأشخاص مغيبين لا يستجيبون لآهاته أو

(1)المرجع السابق: ص ٧٤ : ٧٥.العر:الجرب الذي يُتَّقَى.

نداءاته، فالكميت يجابه واقعًا مؤلمًا يصارع فيه المجتمع آملا تحقيق حالة من الوفاق أو الانصياع لصوت الحق، مؤكدًا لهؤلاء الرافضين لدعوته بأنهم على طريق الضلال؛ فهم كمن يوقد النار على غير هدى ليذهب ضوؤها لغيره، أو كحاطب الليل لا يدري ماذا يجمع في جعبته، وقد كان توجيه الخطاب المباشر من الكميت هنا بمثابة التقريع لهم لرفضهم الانصياع لدعوة الحق لبيان مدى ما وصلوا إليه من غيٍّ وضلالة عن طريق الصواب، وفي البيت الثالث تحتدم حدة الصراع النفسي مرة أخرى ليكشف الشاعر من خلالها عن حالته النفسية المتأزمة تجاه ما يكابده من هجوم بني أمية وتربصهم به وذلك في مناجاة مع الذات يكشف صراعها مع العالم الخارجي وكيف أنه يكابد الأعداء حتى أصبح (خائفًا مترقبًا) في غدوه ورواحه كأنه ارتكب إثمًا عظيمًا، ونراه يظهر تعجبه من هذه الحال، فما جنايته؟!، فهو لم يُجرم أو يُذنب، فكل ما في الأمر أنه تعلق حبًّا بآل البيت وآمن بقضيتهم، وظل الشاعر هنا يصارع نفسه ويحاول إقناعها أنه على حق ولكنه صُدم بنظرة مجتمعية تكاد تفتك بروحه كأنه أجرب يُخشى من جواره ومجالسته، ويتساءل بمرارة ما جريمته لكل هذا العناء حتى يُوبخ ويُهاجم هكذا؟، فالصراع هنا وصل أشده بين الذات من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى، وكأن التأزم النفسي انطلق متدافعًا تعلو صرخته وتتلاطم أمواجه، وقد حاول الشاعر أن يظهر أثناء هذا المشهد ثابتًا لا يتزحزح عن عقيدته، ولكنه كان يجابه صراعًا داخليًّا طبع على أبياته جوانب من الوحدة النفسية.

ومن مشاهد الصراع النفسي المحيطة بذات الشاعر ما نجده في قوله: (من الطويل)

نَضَـخْتُ أدِيـمَ الـوُدِّ بَينِـي وَبَينَـهُم ... بآصِـــرةِ الأرحَـــامِ لَـــو يَتَبَلَّـــلُ

فمــا زَادَهــا إلا يُبُوسًــا ومــا أرَى ... لَهُــم رَحِمًــا والحَمــدُ لِلَّه تُوصَــلُ

وَنضــخِيَ إيّــاهُ التَقِيَّــاتُ مِــنهُم ... أُدَاجِـي عَلَـى الـدَّاءِ المُرِيـبِ وأَدْمُـلُ

وإنّــي علــى أنِّــي أرى فــي تَقِيَّــةٍ ... أُخَـــالِطُ أقوَامـــاً لِقَـــومٍ لَمِزيَـــلُ

وإنّــي علــى إغضَــاءِ عَينَــيَّ مُطـرِقٌ ... وَصَبرِي على الأقذَاءِ وهي تَجَلجَلُ[1]

(1) المرجع السابق: ص ١٨٥ : ١٨٦ .نضخت:بللت،أدمل:أصلح،الضب:الحقد.

اتخذ صراع الذات هنا منحىً آخرًا يتمثل في (التقية) من الأمويين تجنبًا لبطشهم، فالشاعر لا حول له ولا قوة أمام بطش الأعداء وغلبتهم مخفيًا ما يجيش بصدره تجاههم بعدما أخذت منه الهجمات التي شنها عليه أعداؤه كل مأخذ، فحاول أن يفتح جسورًا من الود بينه وبينهم؛ ولكنها في حقيقتها جسرًا لحماية نفسه من بطشهم، والشاعر هنا يصارع حربًا شرسة داخل ذاته، فكيف يُظهر الود لأُناس طالما هاجمهم ووقف في وجه ظلمهم؟!، وكيف يحمي نفسه من بطشهم؟!، وفي خضم هذه الحرب الداخلية القاتلة قرر أن يُظهر خلاف ما يُبطن، ويخضع لقانون الحياة، والشاعر هنا يلمح أن محاولته تلك قد تبوء بالفشل فهم ماضون في النيل منه وهو ما دل عليه قوله: (لو يتبلل) بما يفيد الشك في ودهم، وتأكد شكه بقوله: (فما زادها إلا يبوسًا، ما أرى لهم رحمًا)، فهو هنا قد علم أنهم لن يتركوه يهنأ بمجلس، فما كان منه إلا أن (يتقيهم) ويصبر على داء القلق الذي ألمَّ به وأدمله مخفيًا بغضه لهم وكراهيته لمجلسهم، وتظهر محنة الشاعر النفسية بوضوح في قوله: (صبري على الأقذاء وهي تجلجل)؛ مما يعكس صبرًا يكاد يفتك بذاته، فعينه تكاد تبيِّن ما يكنه لهم من ضغينة وما داخلها من كره تجاههم (يجلجلها) فتكاد تنطق بما تنطوي عليه من غضب ملأ عليه نفسه، فالصبر على الضيم والظلم أهلك ذاته؛ لأنه "مضطر لأن يصانعهم ويتظاهر بمودتهم إبقاء على حياته، فإذا مدحهم إذن فإنما يمدحهم تقية وحذرًا"[1]، فالتجربة هنا تجربة صراع محتدم وموقف نفسي بلغ مداه، فقد اضطر الشاعر لكبت جماح نفسه ومحاولة إخضاعها خيفة البطش والقضاء عليها من شرذمة لا يرحمونها، فهو يعلم أن المجاهرة تعني العقاب الشديد وهو ما دفعه إلى اصطناع الود أحيانًا، وبين ميدانين متناقضين كانت هناك ذات تتشظى ألمًا وتشع منها ألوان الصراع الدامي الذي صحب الشاعر وأكسب التجربة قدرًا كبيرًا من النماء والعمق تتجاوب مع الحالة الوجدانية للشاعر وهو ما أسهم في عملية ذهنية ترسبت فيها مجموعة من المشاعر الحادة التي ظلت تتصارع من خلال التصعيد الوجداني لصراع الذات.

وكما ظهر صراع الذات مع المجتمع والعالم الخارجي في الشواهد السابقة، فإن هناك صراعًا لها أشد وطأة وأحمى وطيسًا؛ هو صراع الذات مع نفسها، فاللوم

([1]) شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري: د.إبراهيم شحاته الخواجه، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٤، ص٨٩.

والعتاب هنا موجه إلى الذات لا إلى غيرها لتخلفها عن أداء واجبها تجاه أحبتها وعدم استجابتها لنداء الحرب، وهو ما يوضحه قول الكميت: (من الوافر)

دَعـاني ابـنُ الرسـولِ فَلَـمٍْ أُجِبْـهُ أَلْهفِـــي لَهْـــفَ للقلـــبِ الفَـــرُوقِ

حِـــذارَ مَنِيَّـــةٍ لا بُـــدَّ مِنْهـــا وَهَـلْ دونَ المَنِيَّـةِ مِـنْ طَريـقِ[1]

وقوله أيضا: (من الوافر)

دَعـاني ابـنُ النَّبِـيِّ فَلَـمٍْ أُجِبْـهُ أَلْهفِـــي لَهْـــفَ للـــرأْي الغَبِـــينِ

فَيَـا نـــدمًا غَـــداةَ تَرَكْـــتُ زيـــدًا وَرَائـــي لابْـــنِ آمِنَـــةَ الأمـــينِ[2]

فالكميت قد تخلف عن الثورة التي دعا إليها أئمة بني هاشم ولم يشترك فيها خوفًا من القتل وخشية البطش به من جانب الأمويين، وهو ما جعله يدخل صراعًا نفسيًّا مع ذاته يلومها عدم خوضها غمار الثورة ضد ظلم الأمويين، ففاضت نفسه حزنًا وأسفًا لتخاذله عن مناصرة شيعته الذين طالما دافع عنهم وكان لسانه درعًا وسيفًا لهم في كل المواقف، يذكر مآثرهم ويشيد بخصالهم ويدفع عنهم كل سوء، ولكن خشيته من القتل وبطش الأمويين جعله يتخلف عن المشاركة في الثورة،لأنه يعلم ما طال الشعراء من صور الاستبداد والجور "حتى نالهم ما نال غيرهم من صنوف العذاب والتقتيل"[3]، وهنا فاضت نفسه ألمًا، فالصراع على أشده، فهو بين أمرين يعصفان بنفسه، هل يلبي نداء الثورة ويشارك أئمة بني هاشم في المحاولة للقضاء على الظلم، ولكن ماذا لو خسروا؟، ماذا لو لم تنجح ثورتهم؟، فإن بني أمية لن يتركوه دون عقاب، ولم يجد بديلا أمام هذه الصراع النفسي الرهيب إلا أن يستسلم للندم والحسرة التي أكلت قلبه ولاسيما بعد خمود الثورة ومقتل أئمتها، وهنالك "بهت الكميت وتولى آسفًا ونعى عن نفسه نكوصه وتخلفه عن الدفاع عن إمامه"[4]، وهو ما نلحظه في قوله: (فيا ندمًا غداة تركت زيدًا)، فالندم أدمى قلبه

---

(1) شرح الهاشميات: ص ٢٠٤.
(2) المرجع السابق: ص ٢٠٥.
(3) تجليات الخوف في الشعر الأموي: د.حسين محمد عبيدات، الناشر وزارة الثقافة ، الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص٦٣.
(4) شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري:د.إبراهيم شحاته الخواجه، مرجع سابق، ص ٨٧.

بعد مقتل الإمام زيد، وكأنما يحدِّث ذاته : كيف لنفس طالما جادت بالعواطف الصادقة جهد طاقتها أن تتخلف عن ثورة الحق؟!، وظل ينشد: (من الطويل)

إذا سُمتُ نَفسِي نَصرَهُم وَتَطلَّعَتْ ... إلى بَعضِ ما فيه الذُّعَافُ المُثَمَّلُ

وقُلتُ لَهَا بِيعِي من العَيشِ فَانِيًا ... بَبَاقٍ أُعَزِّيهَا مِرَارًا وأعذِلُ

وألقِي فِضَالَ الشَّكِ عَنكِ بِتَوبَةٍ ... حَوَارِيَّةٍ قَد طَالَ هَذَا التَفَضُّلُ

أَتَتنِي بِتَعلِيلٍ وَمَنَّتْنِيَ المُنَى ... وَقَد يَقبَلُ الأمنِيَّةَ المُتَعَلِّلُ

وَقَالَت مُعِدٌّ أنتَ نَفسَكَ صَابِرًا ... كما صَبَرُوا أيُّ القَضَاءينِ يَعجَلُ

أَمَوْتًا على حَقٍّ كَمَا مَاتَ مِنهُمُ ... أَبُو جَعفَرٍ دُونَ الذي كُنتَ تَأمُلُ

أم الغَايَةَ القُصوَى التي إن بَلَغتَها ... فَأنتَ إذن ما أنتَ والصَّبرُ أجْمَلُ[1]

يحاول الشاعر في الأبيات تفسير تخاذله عن نصرة آل البيت في ثورتهم، فدائمًا ما يحدث نفسه بنصرتهم وطرد هاجس الخوف لتهيئتها للقتال؛ لكنه يسمع أنين النفس وهي تصرخ وكأنها تذوقت سمًّا ناقعًا، ثم يدخل معها في حوار غلب عليه طابع الخوف والصراع النفسي الرهيب فيخبرها أن تبيع العيش الفاني وتتمسك بأحبتها من آل البيت وتتحلى بفضائلهم وتلبي نداء الروح، فتأتيه النفس متعللة بالتمسك بالبقاء والخوف من البطش، فيرد عليها أن تتحلى بالصبر كما تعودت ولا تجزع وألا تترك ساحة القتال وفيه أحبتها من آل البيت وأن تنتزع ثياب الضعف والمذلة وألا تتأخر عن نصرتهم ومؤازرتهم، فما كان ردها إلا أنها وساوسها قد غلبتها فتتعلل بالأماني والآمال وأن تصبر على ما ألم بها من حيرة وتأزم نفسي؛ فالكميت دخل مع نفسه في حوار طابعه الصراع فيما يشبه المناجاة لتجسيد الانفعالات النفسية وحالة الصراع التي تمر بها الذات بين الذهاب إلى الموت وحب البقاء، وفي ثنايا هذا التجاذب تتجلى حالة الذات من مشاعر الألم والتمزق والتشتت النفسي الذي يكاد يفتك بها، فالأبيات فيها مساران، مسار تلبية نداء الواجب، ومسار الخوف والتقية، وبتداخل المسارين ينتج صراع نفسي يؤدي إلى احتدام الحالة

(1) شرح الهاشميات: ص ١٨٠: ١٨٢. الذعاف:السم،المثمل:المجموع،حوارية:خالصة صادقة.

النفسية للشاعر وهيمنتها على النص وهو ما عمق الفكرة وأسهم في تكثيفها وأكسب النص طابعًا من الوحدة النفسية المغلفة بالصراع النفسي مع الذات.

– صراع السلطة: احتدم الخلاف بين الهاشميين والأمويين حول أحقية كل منهما بتولي الحكم والسلطة، ولما كان الشعر شديد الالتصاق بالحياة السياسية فقد راح شعراء الجانبين يساهمون في مناصرة حزبهم ساعين إلى " توظيف المعاني والقيم الدينية التي يصدر عنها كل منهم زيادة في الإقناع بقضيته، واطمئنانًا إلى انتصاره لها، وتفنيد أدلة خصمه، وضمان تغلغل شعره في نفوس المسلمين وسيرورته بين الرعية"[1]، وقد كان الكميت من أكبر أبواق الشيعة الشعرية وأقواها، فقد نادى بآرائهم المعتقدية فيما يخص الخلافة ودعا لاسترداد حقهم السليب، فجاء شعره في صورة صراع قوي كانت السلطة أهم محاوره، فنهض في إرساءالنظرية الهاشمية التي قوامها الدعوة إلى الخلافة وإرجاعها لمكانها الطبيعي، وراح يرسي عقيدة آل البيت في إثبات حقهم في تولي زمام السلطة، فكان شعره في ذلك بمثابة ثورة سياسية تعلن تمردها على سلطة الأمويين، نرى ذلك في قوله: (من الطويل)

وَقَـالُوا وَرِثنَاهَـا أَبَانـا وأُمَّنَـا ... وَمَـا وَرَّثَـتْهُم ذَاكَ أمٌّ وَلاَ أبُ

يَرَونَ لَهُم فَضلاً عَلَى النَّاسِ وَاجبًا ... سَـفَاهًا وَحَـقُّ الهَاشِـمِيينَ أوجَـبُ

وَلَكِـن مَوَارِيـثُ ابـنِ آمِنَـةَ الـذِي ... بِـهِ دَانَ شَـرقِيّ لَكُـم وَمُغَـرِّبُ

فِـدىً لَـكَ مَوْرُوثًـا أَبِـي وأبُـو أَبِـي ... وَنَفْسِي ونَفْسي بَعْدُ بالنـاسِ أَطْيَبُ

بِـكَ اجْتَمَعَـتْ أنْسـابُنا بَعْـدَ فُرْقَـةٍ ... فَـنَحْنُ بَنـو الإسـلامِ نُـدْعَى وَنُنْسَـبُ

حياتُـك كانـت مجـدَنا وسـناءنا ... وموتُـك جَـدْعٌ للعَـرانين مُرعَـبُ

وأنـت أمـينُ الله فـي النـاسِ كلِّهـم ... علينا وفيما احتازَ شرقٌ ومغرِبُ[2]

أراد الكميت من خلال أبياته السابقة إقرار حق الهاشميين في الخلافة ودحض كل الآراء والمزاعم التي ينادي بها بنو أمية في أنهم ورثوا الخلافة عن آبائهم،

---

(1) حركة الشعر في ظل المؤثرات الإسلامية: د.عبدالله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة، (د.ت)، ص٤٧.

(2) شرح الهاشميات: ص ٥٩ : ٦١.

فجاءت أبياته ساحة للصراع يقرر فيها الشاعر بطلان دعوى الأمويين وإثبات حق آل البيت الشرعي، وذلك في جو نفسي يسوده الثقة واليقين في إثبات الحق لأصحاب السلطة الحقيقيين مستعينًا بأدوات تعبيرية وفنية لاستهواء المتلقي وتحويل الفكرة إلى إحساس، متجهًا إلى عاطفة السامع لمحاولة إثارة وجدانه تجاه القضية والموقف المحتدم حول السلطة ومرجعيتها، فالأبيات بدأت بفعل القول المنسوب للأمويين في أمر السلطة: (قالوا ورثناها) ولم يغب الرد سريعًا؛ فجاء الكميت بنفي ذلك القول والإدعاء بقوله: (وما ورثتهم) لإثبات إدعائهم وزيفهم، ثم أورد بعد ذلك تفسيرًا لنفيه حاملاً معه عاطفة فياضة نابعة من عقيدة ثابتة تذهب إلى غايتها مصورة ما يتعاورها من شتى المشاعر تجاه أحبته، فذهب إلى وجوب حق الهاشميين في الحكم نظرًا لقرابتهم من رسول الله ﷺ، واستمر الكميت بعدها يذكر صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم ودوره العظيم في وحدة المسلمين ولم شمل القبائل حول كلمة الإسلام، والشاعر هنا يود أن يبعث رسالة تحمل انطلاقة روحية مفادها قرابة أئمة الشيعة من رسولنا الكريم ﷺليكون ذلك مرتكزًا قويًّا وخير سند لموقف الأمويين فيكتسبوا النصر والتأييد المطلوبين.

ويستمر الكميت في حديثه حول أحقية السلطة ولزوم إرجاعها لأصحابها مبينًا الصراع الدائر بين الهاشميين وأعدائهم وداحضًا حجج بني أمية بقوله: (من الطويل)

يَقُولُونَ لَم يُورَثْ وَلَولا تُرَاثُه ... لَقَد شَرِكَت فِيهِ بَكِيل وأرْحَبُ

وعَكٌّ ولَخمٌ والسَّكُونُ وحِميَرٌ ... وكِندَةُ والحَيَّانِ بَكرٌ وتَغلِبُ

وَلاَنتَشَلَت عِضوَينِ مِنهَا يُحَابِرٌ ... وكَانَ لِعَبدِ القَيس عِضوٌ مُوَرَّبُ

ولانتَقَلَت من خِنْدِفٍ في سِوَاهُمُ ... وَلاَقتَدَحَتْ قَيسٌ بِهَا ثم أثقَبُوا

وَمَا كَانَتِ الأنصَارُ فِيهَا أذِلَّةً ... وَلاَ غُيَّبًا عَنهَا إذَا النَّاسُ غُيَّبُ

هُمُ شَهِدُوا بَدرًا وخَيبَرَ بَعدَها ... ويومَ حُنَين والدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

وَهُم رَئِموها غيرَ ظَأرٍ وأشبَلُوا ... عَلَيهَا بِأطرَافِ القَنَا وَتَحَدَّبُوا

فَـإن هِـيَ لَـم تَصـلُح لِحَـي سِـوَاهُمُ فَـإِن ذَوِي القُربَـى أحَـقُّ وأقـرَبُ[1]

يوجه الكميت الأبيات للأمويين أصحاب السلطة مبينًا أن حججهم كلها زائفة وأن ما يدَّعونه من عدم توريث النبي ﷺللخلافة ليخرجوا منها أقاربه هو حجة عليهم لا لهم، والشاعر هنا يحاول جلب استمالة المتلقي عبر وتيرة حادة من الصراع الدائر حول سلطة مغتصبة، فنراه يدمغ قول الأمويين ويوضح وهن حجتهم، فالسلطة التي يتمتعون بها ما هي إلا حق للهاشميين آل بيت النبي ﷺ، وهي ميراثه وما هم إلا مدَّعون كاذبون؛ لأن النبي ﷺيورث، ولولا ذلك لكانت الخلافة حقًا لكل القبائل العربية لكل منهم سهم فيها، والكميت هنا أفرد مساحة واسعة لذكر عدد كبير من القبائل ليكسب الأبيات صدقًا ضمن الصراع القائم بين خصمين لا يحتمل نوعًا من الكذب أو الإفتراء، فالكميت يلجأ لأدلة خطابية عاطفية يستثير بها المتلقي لبيان باطل حكم بني أمية، كما أنه حريص على إثارة الأحاسيس ليوقد النار في القلوب لانتزاع الحق المسلوب من آل البيت فهم في رأيه (الأحق والأقرب) ولا تصلح الخلافة لسواهم، فالشاعر هنا يمضي ليملأ القلوب حماسة لأهل البيت النبوي، ويفعم النفوس حنقًا وسخطًا على الأمويين، وهو في هذا كله يتملكه مشاعر متنوعة ما بين حب ويقين بحق شيعته الضائع، وبين مشاعر ثورة عارمة وغضب تجاه مغتصب لسلطة ليست من حقه، فالشاعر يأتي بكل الطرق الممكنة لاستمالة المتلقين ودفعهم لتصديقه والثورة على الحكم الغاشم، فالكميت أجاد التعبير عن عواطفه وانفعالاته عبر تموجاتها النفسية لتحريك النفوس واستقطاب المشاعر من خلال أصوات عديدة مختلفة الاتجاهات تتشابك وتتفاعل لتلتقي في اتجاه واحد هو الإحساس المسيطر على الشاعر.

وقد حاول الكميت أن يصنع بمشاعره ثورة عاتية ضد الأمويين يصرخ فيها بشدة مبينًا مساوئ حكمهم وما جنته الرعية في كنف سلطة غاشمة يقول:(من الطويل)

فَتلـك وِلاةُ السَـوءِ قـد طـالَ ملكُهـم فحَتَّـــامَ حَتَّـــامَ العَنَـــاءُ المُطَـــوَّلُ

رَضُوا بِفِعَالِ السَوءِ فـي أهلِ دينِهم فقـد أيتَمُـوا طَـورًا عِـدَاءً وأثكَلُـوا

(1) المرجع السابق: ص ٦٢ : ٦٥.

كَمـا رَضِـيتْ بُخـلاً وسُـوءَ وِلايـةٍ بِكَلبَتِهـا فـي أوَّلِ الـدَّهرِ حَومَـلُ
نُباحًـا إذا مـا اللَّيـلُ أظلَـمَ دُونَهـا وَضَـربًا وتَجوِيعًـا خَبَـالٌ مُخَبَّـلُ
وما ضَرَبَ الأَمثَالَ في الجَورِ قَبلَنا لأَجـوَرَ مـن حُكَّامِنـا المُتَمَثِّـلُ
هُـمُ خَوَّفُونَـا بـالعَمَى هُـوَّةَ الـرَدَى كمـا شَـبَّ نـارُ الحَـالِفينَ المُهَـوِّلُ
لَهُـم كُـلَّ عَـامٍ بِدعَـةٌ يُحـدِثُونَها أزَلُّـوا بهـا أتبَـاعَهم ثـم أوحَلُـوا[1]

يعبر الكميت في الأبيات عن سخطه وشديد غضبه على الأمويين، فحاول أن ينفِّس عن مشاعره بعدما كاد أن يختنق من ظلمهم وقد سيطرت عليه عاطفة الألم فانفجر ساخطًا يُظهر جور سلطانهم وسوء طباعهم وسط ثورة عارمة تملأ جنبات نفسه، فأفسح المجال للسانه كيف يطلق كلمات بمثابة قذائف توقظ الضمائر وتستثير العواطف محملة بأحاسيس النقمة والسخط على سلطان الأمويين الجائر، ودفعته نفسه الثائرة للوقوف في وجه الخصوم وغاصبي السلطة الذين أيتموا الأطفال وأثكلوا النساء كاشفًا باطل زعمهم وفساد سياستهم؛ فنراه يستحث الناس على النهوض في وجه حكام بني أمية وألا يرضوا بالذل والهوان أو يكونوا خاضعين مستسلمين لما يتعرضون له من فساد وسلب لإرادتهم، فالكميت هنا يريد أن يحرك ركود عواطفهم ويستفز مشاعرهم كي يثوروا على الظلم والفساد وضد سلطة تسوِّس الرعية سياسة غاشمة تقوم على استخلاص كل ما يملكون وما يدخرون كأن الرعية غنم لهم أو(كلب جُوِّع وأُوسع ضربًا فلا حيلة له ولا قوة)، فالشاعر هنا يترجم جور الأمويين في صورة نفسية معبرة تكاد تنطق بظلمهم وتدعو للتمرد على هذا الظلم وتندفع من بؤرة نفسية مركزها الصراع الدائر بين طرفي السلطة وهو ما عبرت عنه الحالة الشعورية التي وحدت النص في كيان عاطفي يتسم بالترابط النفسي.

– صراع الموت: كان المشهد الدموي حاضرًا في هاشميات الكميت، وكانت دلالاته وإيحاءاته النفسية ظاهرة بقوة، فظهر أثره في تأجج الحالة النفسية للشاعر الذي عاصر مشاهد القتل البشعة لأئمة الشيعة حينئذ، وهو ما دفعه إلى التعبير عن هذه المشاهد بنفس متمزقة قلقة، فذهب يندد بجرائم القتل التي ارتكبها الأمويون في

(1) شرح الهاشميات: ص ١٦٠ : ١٦١.المهول:المستخلف.

حق معارضيهم أو من تحدثه نفسه بالخروج على سلطانهم أو محاولة زعزعة أركان دولتهم، وقد طال الهاشميون ما طالهم من قتل وتشريد وتعذيب واضطهاد، وفي ظل هذه المشاهد الدموية التي تحمل رائحة الموت نهض الكميت برسالته نحو الوفاء بقتلى آل البيت الذين سقطوا ضحايا للظلم والبغي والعدوان، فأنشد فيهم شعرًا يظهر فيه التفجع والنقمة على المعتدين ويحمل طابع الصراع الذي يقاسيه جراء إحاطته برائحة الموت من كل جانب.

وقد كان مشهد مقتل الإمام علي من المشاهد التي أدمت قلب الكميت فعبر عنها قائلا:(من الخفيف)

والوَصِـــيُّ الـــذي أمَـــالَ التَّجُـــو	**بِـــيُّ بِـــهِ عَـــرشَ أُمَّـــةٍ لانهِـــدَامِ**
كـانَ أهـلَ العَفَـافِ والمَجـدِ والخَيـ	**ـــرِ ونَقـــضِ الأُمُـــورِ والإبـــرَامِ**
والوَصِـيُّ الـوَلِيُّ والفـارِسُ المُعـ	**ـلِمُ تَحـتض العَجَـاجِ غَيـرُ الكَهـامِ**
كَـم لَـهُ ثـم كَـم لَـهُ مـن قَتِيـلٍ	**وَصَـرِيعٍ تَحـتَ السَّـنَابِكِ دَامِـي**
وَخَمِـــيسٍ يَلُفُّـــهُ بِخَمِـــيسٍ	**وفِنَـــامٍحَوَاهُ بَعـــدَ فِنَـــامِ**
وَعَمِيـــدٍ مُتَـــوَّجٌ حُـــلَّ عَنـــهُ	**عُقَـــدُ التَّـــاجِ بالصَّـــنِيعِ الحُسَـــامِ**
قَتَلـــوا يَـــوم ذَاك إذ قَتلُـــوهُ	**حَكَمَـــاً لا كَغَـــابِرِ الحُكَّـــامِ[1]**

هنا يتفجع الكميت من موت الإمام علي ويرثيه متوجعًا، ويرى بمقتله إنهاء أمل الأمة في إقامة العدل والتمكين له بين الرعية، فمَن بعده يسوس أمورهم ويرعاهم ببصيرته ورجاحة عقله؟، فالإمام علي حاذ هذه الصفات؛ لأنه (وصي) النبي المصطفى ﷺ، فقد عُرف بالعفة وصنع الخير ونقض الشر، فهو أهل العفاف والتقى والمجد،كما أنه الفارس النبيل يصول ويجول في ساحات الوغى دون كلل أو خوف، فالشاعر هنا يسرد صفات (الإمام علي) رضي الله عنه وقلبه ينفطر ويقطر دمًا نتيجة فقد الإمام وموته الذي اعتبره الشاعر (انهدام لعرش الأمة) فكم خاض من المعارك ضد الخارجين عن الدين، وكم صرع من أبطال الشرك وأنهى حياة قادة

(1) المرجع السابق: ص ٢٩ : ٣١. تجوبي: نسبة إلى تجوب وهي بلدة قاتل الإمام علي،الإبرام:إحكام الفتل، العجاج:الغبار، الكهام:الجبان، السنابك:مقدمةالحافر، الخميس:الجيش، الفئام:جماعة من الناس.

الكفربشجاعته وبسالته في القتال، وكم من سيد أراد مقارعته فما كان من الإمام علي إلا أن صرعه بسيفه البتار، فالكميت يعدد صفات الشجاعة والنبل التي تحلى بها الإمام علي مما جعله هدفًا لأعداء الإسلام وكارهي العدل، فتربص به كارهوه وقتلوه، وبقتلهم للإمام فقد قتلوا الحاكم العادل الذي (لم يرد مثيلا بعده في غابرالحكام)، والكميت أثناء سرده للأحداث التي صاحبت مقتل الإمام قد طغت عليه مشاعر المرارة والحزن أمام هذا المشهد الدامي المتكرر لأئمة الشيعة، وقد ارتكز هذا المشهد على تأكيد الظلم الذي تعرض له الإمام، وقد كانت مشاعر الفقد والغياب نتيجة لمقتله تكشف صورة قاتمة تولدت منها حالة نفسية عبر عنها الشاعر بأحاسيس تكشف حضور صورة الصراع في تفكيره ومشاعره في شبكة دلالية متماسكة متصلة بالشعور ومحيلة إليه.

ونرى أيضًا تأثر الكميت وتأزمه النفسي نتيجة مقتل إمام آخر هو الحسين بن علي رضي الله عنهما في مشهد هز الشيعة والذي عدَّه الشاعر من أكبر المصائب في قوله: (من الطويل)

وَمِنْ أَكْبَرِ الأَحْداثِ كانتْ مُصِيبَةٌ عَلَيْنا قَتيلُ الأَدْعِياءِ المُلَحَّبُ

قَتيلٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ مِنْ آل هاشِمٍ فَيالَكَ لَحْمًا لَيْسَ عَنْهُ مُذَنِّبُ

وَمُنْعَفِرُ الخَدَّيْنِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ألا حَبَّذا ذَاكَ الجَبينُ المُتَرَّبُ

قَتيلٌ كَأَنَّ الوُلَّهَ النُّكْدَ حَوْلَهُ يَطُفْنَ بِهِ شُمَّ العرانينِ رَبْرَبُ[1]

يقاسي الشاعر في الأبيات تجربة مريرة شديدة الألم والقسوة تضمنت كلمات باكية ناعية متفجعة تنطلق من جوف شاعر يشعر بمرارة وحزن عميق، فنراه يصارع ألم الفراق والفقد ونار الحزن تشتعل في أعماقه وحرقة الشجن تكاد تعصف به، فالكميت يعبر عن معاناة هي الأشد، ومصيبة هي الأشنع بمقتل الحسين بن علي في حادثة هزت الشيعة،وفاجعة (هي من أكبر المصائب وأشدها)، فالأبيات تكشف نفسية معذبة وشعورًا داخليًّا يعبث بدواخل النفس التي ذاقت أوجاع الفقد، والأقسى من ذلك هو مشهد القتل لإمام هب لنصرة الحق وكشف الباطل؛ ولكن أيادي الغدر

(1) المرجع السابق: ص٨٤ : ٨٥. الملحب: المقطع بالسيوف، أطلف:موضع بشط الفرات، مذيب:مدافع، الوله:جمع واله وهو الحزين،النكد:جمع نكود وهي التي لا يعيش لها ولد، الربرب:جماعة من البقر.

والخسة أبت إلا أن تسطر لها تاريخًا في القتل وسفك الدماء فقتلت الحسين وأنصاره من بني هاشم في مشهد خلده الشيعة وعلى رأسهم الكميتالذي وصف المشهد وهو يتفجع من هوله تنفجر دموعه ويهتز قلبه للقتيل الذي تعفرت جثته بالتراب وتلطخ جبينه بالدماء والكل يبكيه حتى إن النساء ظهرت تطوف حوله (كأنها الأبقار الوحشية التي فقدت واحدًا منها فظلت تدور حوله حزينة متحطمة القلب)، فالشاعر هنا تسوقه المشاعر للتعبير عن غضبه البالغ تجاه الفاجعة تسوقه ثورته العارمة لتحريك النفوس الراكدة وإيقاظ الضمائر كي تثور على الظلم البين لبني أمية الذين سولت لهم أنفسهم في ارتكاب هذا الجرم البشع في حق آل البيت وأئمتهم.

والكميت يزفر ألمًا كلما تذكر حادثة مقتل الحسين، ففي هذه الذكرى الأليمة جرح لا يندمل، وقد برع الشاعر في وصف المشهد الدامي وهو يسبغ ألوانًا من الآلام والأوجاع على هذا المشهد الذي يؤجج المشاعر بقوله: (من الطويل)

كـــأنَّ حُسَـــينًا والبَهَالِيـــلَ حَولَـــه ... لأَســـيَافِهِم مـــا يَخْتَلِـــي المُتَبقِّـــلُ

يَخُضْنَ بِهِم من آلِ أحمَدَ في الوَغَى ... دَمًـا ظَـلَّ مِـنهُم كـالبَهِيمِ المُحَجَّـلُ

وغَـــابَ نَبِـــيُ اللهِ عَـــنهُم وَفَقـــدُهُ ... علـى النَّـاسِ رُزْءٌ مـا هُنَـاكَ مُجَلَّـلُ

فلَـــم أرَ مَخـــذُولاً أَجَـــلَّ مُصِـــيبَةً ... وَأوجَـبَ منـه نُصـرَةً حَـينَ يُخـذَلُ

يُصـيبُ بـه الرَّامُـونَ عـن قَـوسِ ... فَيَـا آخِـرًا سَـدَّى لـه الغَـيَّ أوَّلُ

تَهَافَـتَ ذُئبَـانُ المَطَـامِعَ حَولَـهُ ... فَرِيقَـانِ شَـتَّى ذو سِـلاَحٍ وأَعـزَلُ[1]

جاءت الأبيات لتصور المشهد الأليم لمقتل الحسين في جو نفسي يحرك العواطف ويستثير رواقد الأحاسيس ويوقد النار في القلوب لتنتفض ضد سفاحي السلطة، ففاجعة كربلاء قد غلفت إحساس الشاعر بالغضب،وأحاطته بمشاعر الفقد والموت، وأججت به الدوافع الناقمة تجاه بني أمية، فالكميت هنا يستعيد مشاهد هذه المذبحة التي طالت الحسين وكيف أن (البهاليل من بني أمية) أحاطوا به من كل جانب تمزِّق سيوفهم جسده ويفتكوا به وبمن معه واحدًا تلو الآخر كـ (المتبقل) الذي ينتقي ما شاء من بقل الأرض ينتزعه انتزاعًا، فالكميت برع في تلوين هذه الصورة

(1) المرجع السابق شرح الهاشميات: ص ١٦٦ : ١٦٨.المتبقل:الذي يأخذ البقل وهو ما اخضر في الأرض من نبات، الرزء:المصيبة.

الباكية التي تعكس بطش الأمويين وغلظتهم ومدى شناعة الجرم الذي ارتكبوه،مؤججًا بها الغضب تجاه بني أمية الذين سفكوا دم الحسين بوحشية حتى خاضت فيه (الخيل المحجلة)، فالشاعر يورد صورة دموية تلو الأخرى لمشهد الموت لإثارة الكوامن ضد مرتكبي الجُرم الذي طال أسرة النبي ﷺالذي بغيابه حدث (المصاب الجلل) بمقتل حفيد النبي الذي لا يجد الشاعر (مخذولاً) مثله وقع ما وقع له؛ حيث كانت تنهال عليه أقواس الرامين من كل جانب، تتكاثر عليه الطعنات هنا وهناك من كل طامع من أراذلة بني أمية وأشقيائهم، فكان منهم من حمل السلاح ومنهم الأعزل، كل منهم يريد إرضاء أصحاب السلطةالغاشمة؛ يصف الكميت هذه الأحداث وهو مثقل بحزن وألم نفسي عنيف، يصارع فكرة الموت والفقد التي ألمت بأحبابه، آملاً في نيل الحق الضائع.

يتضح من السابق أن الصراع في هاشميات الكميت كان له وجوه متعددة وتمظهرات كثيرة منها ما كان شخصيًّا متعلقًا بالذات وصراعها الداخلي أو مع ما يحيط بها من أحداث ومواقف في الوجود الخارجي، وآخر تعلق بجماعة الشاعر وشيعته وما تعرضوا له من مآسٍ ومحن، والقاسم المشترك بين الصراعين هو حالة الشاعر النفسية المتأزمة وما ألم به من مرارة وحزن نتيجة للصراع الدائر حوله من كل جانب.

مراجع البحث

القرآن الكريم

١- اتجاهات الشعر في العصر الأموي: د.صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.

٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د.إحسان عباس؛ نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: د.إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، بيروت، ط٤ ، ١٩٨٣.

٣- تجليات الخوف في الشعر الأموي: د.حسين محمد عبيدات، الناشر وزارة الثقافة ، الأردن، ط١، ٢٠١٥.

٤- حركة الشعر في ظل المؤثرات الإسلامية: د.عبدالله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة، (د.ت).

٥- شرح الهاشميات: أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق : د.داود سلوم، د.نوري حمودي القيسي، عالم الكتب للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

٦- شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري: د.إبراهيم شحاته الخواجه، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٤.

٧- في الشعر الإسلامي والأموي: د.عبدالقادر القط، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٧.

٨- الكميت؛حياته وشعره:محمد حسين الحاج،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٧٥.

٩- مفهوم الصراع في الشعر العربي؛ شعر الخوارج أنموذجًا: د.سعد صابر نمال، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العراق، العدد ١٨، صيف ٢٠١٥.